تفسير إبن كثير

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

يقول تعالى لرسوله ، صلوات االله وسلامه عليه : إنك يا محمد (إنك لا تهدي من أحببت) أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، واالله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى : (ليس عليك هداهم ولكن االله يهدي من يشاء) [البقرة : 272] ، وقال : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : 103] .وهذه الآية أخص من هذا كله ; فإنه قال : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن االله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وقد كان يحوطه وينصره ، ويقوم في صفه ويحبه حبا [شديدا] طبعيا لا شرعيا ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله ، دعاه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - إلى الإيمان والدخول في الإسلام ، فسبق القدر فيه ، واختطف من يده ، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ، والله الحكمة التامة .قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب ، عن أبيه - وهو المسيب بن

حزن المخزومي ، رضي االله عنه - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد االله بن أبي أمية بن المغيرة . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " يا عم ، قل : لا إله إلا االله ، كلمة أشهد لك بها عند االله " . فقال أبو جهل وعبد االله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا االله . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " . فأنزل االله عز وجل : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) [التوبة : 113] ، وأنزل في أبي طالب : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن االله يهدي من يشاء) .أخرجاه من حديث الزهري . وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي ، من حديث يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال : " يا عماه ، قل : لا إله إلا االله ، أشهد لك بها يوم القيامة " . فقال : لولا أن تعيرني بها قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت

، لأقررت بها عينك ، لا أقولها إلا لأقر بها عينك . فأنزل االله : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن االله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان .ورواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرة ، فذكره بنحوه .وهكذا قال ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أن يقول : " لا إله إلا االله " فأبى عليه ذلك ، وقال : أي ابن أخي ، ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبد االله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد قال : كان رسول قيصر جاء إلي قال : كتب معي قيصر إلى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - كتابا ، فأتيته فدفعت الكتاب ، فوضعه في حجره ، ثم قال : " ممن الرجل ؟ " قلت : من تنوخ . قال : " هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفية ؟ " قلت : إني رسول قوم ، وعلى دينهم حتى أرجع إليهم . فضحك رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ونظر إلى أصحابه وقال : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن

االله يهدي من يشاء) .